دور النفوذ الليبي في تشكيل العلاقات السياسية والاقتصادية بين مصر والمدن الفينيقية خلال حكم الأسرة الثانية والعشرين (945-730 ق.م)

أ.هيفاء عبدالرحمن الشعافي
قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة مصراتة
hyfa.abdulrahman@art.misuratau.edu

استلمت الورقة بتاريخ 2024/09/10، وقبلت بتاريخ 2024/09/16، ونشرت بتاريخ 2024/09/21

الكلمات المفتاحية: شيشنق الأول، سليمان عليه السلام، المدن الفينيقية، آشور.

الملخص

تناقش هذه الدراسة فترة حكم الأسرة الثانية والعشرين في مصر القديمة (945-730 قبل الميلاد)، مع التركيز على العلاقات السياسية والاقتصادية بين مصر والمدن الفينيقية خلال حكم شيشنق الأول (954-924 ق.م) وخلفائه، من خلال تحليل سياسات شيشنق الأول وخلفائه، تكشف الدراسة عن دور هذه العلاقات في تعزيز الاستقرار السياسي والاقتصادي لمصر وتأثيرها المستمر على مسار التاريخ المصري، كما تستعرض التحديات التي واجهتها الأسرة، بما في ذلك التنافس مع مملكة إسرائيل بقيادة النبي سليمان عليه السلام (963-923 ق.م) ومملكة آشور، وتأثير هذه التحديات على استقرار الأسرة، أخيرًا، تبرز الدراسة نجاح شيشنق الأول في توسيع نفوذ مصر من خلال حملاته العسكرية، مما أدى إلى استقرار سياسي واقتصادي ملحوظ وضمان ولاء الأطراف المختلفة

المقدمة

بدأت الأسرة الثانية والعشرون، المعروفة بالأسرة الليبية، بتولي شيشنق الأول الحكم، بعد أن أثبت نفسه في الجيش إذ جاء صعوده للسلطة بعد وفاة آخر حكام الأسرة الحادية والعشرين، وهي فترة تميزت بالتجزئة السياسية وضعف السلطة المركزية، وقد تم ذلك من خلال تزويج ابنه لابنة آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين وتعيين ابنه كاهنًا أعظم لآمون، حيث نجح شيشنق الأول في توحيد حكمه وتأمين مكانته بصفته ملك جديد، حيث شهدت فترة حكمه تحولات جذرية في البنية السياسية والاقتصادية لمصر، مما أثر بشكل كبير على الأوضاع الداخلية والخارجية لمصر؛ لذا فإن دراسة هذه الحقبة توفر فهماً أعمق لكيفية تأثير هذه التحولات على مصر والمنطقة المحيطة بها، إذ تستكشف الدراسة الجهود الدبلوماسية لشيشنق الأول والتحالفات التي عقدها مع الدول المجاورة، وأثر هذه الجهود على الاستقرار السياسي والاقتصادي في مصر ومنطقة المشرق القديم (ينظر خريطة رقم 1)، بشكل عام، مما يساهم في تقديم رؤى جديدة حول التحديات والإنجازات التي شهدتها مصر والمنطقة خلال هذه الفترة المهمة ولتحقيق فهم أعمق لهذه الفترة، فإن الباحثة تسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:

الأهداف:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. استكشاف العلاقات بين مصر والمدن الفينيقية وتحديد كيفية تأثير هذه العلاقات على المشهد السياسي والاقتصادي في المنطقة.
2. دراسة دور مملكة بني إسرائيل في الديناميكيات السياسية والاقتصادية للمنطقة خلال فترة الأسرة الثانية والعشرين.
3. تسليط الضوء على تأثير الحملات العسكرية والعلاقات الدبلوماسية على استقرار المنطقة بشكل عام.
4. تحليل الديناميكيات السياسية والاقتصادية خلال فترة حكم الأسرة الثانية والعشرين.
5. فهم التداخلات السياسية والاقتصادية بين مصر والفينيقيين وكيف أثرت على الطرفين.
6. تقييم ما إذا كانت هذه التحولات تمثل مصدر قوة لمصر أم أنها أسهمت في تعزيز الانقسامات الداخلية.

hyfa.abdulrahman@art.misuratau.edu.ly

الإشكالية:

ولتحقيق هذه الأهداف، يتعين فهم الإشكالية المتعلقة بمدى تأثير النفوذ الليبي خلال فترة حكم الأسرة الثانية والعشرين على العلاقات الخارجية لمصر مع المدن الفينيقية، وكيفية تشكيل هذا النفوذ للسياسات الخارجية المصرية في ظل تعقيدات الأوضاع السياسية والاقتصادية للمنطقة، ولفهم هذا التأثير من الضروري تحليل السياق الزمني والمكاني لها.

الإطار الزمني والمكاني:

تركز هذه الدراسة على الفترة من 945 إلى 730 ق.م، وهي فترة شهدت تحولات سياسية واقتصادية كبيرة في مصر والمنطقة المحيطة بها، حيث يتطرق البحث إلى المناطق الجغرافية المتأثرة بهذه التحولات، بما في ذلك المدن الفينيقية ومملكة إسرائيل، ويمتد الإطار المكاني لها من الساحل الفينيقي الضيق المطل على البحر المتوسط المحاط بسلسلة جبال لبنان من الشرق، ومرج ابن عامر وجبل الكرمل من الجنوب، وجبال طوروس من الشمال، تشمل الدراسة أيضًا مملكة إسرائيل في جنوب بلاد الشام، المحاذية للمدن الفينيقية شمالًا والمملكة اليهوذية جنوبًا، أما مصر، فتمتد من البحر المتوسط شمالًا حتى النوبة جنوبًا، ومن صحراء سيناء شرقًا حتى صحراء ليبيا غربًا.

المنهج المستخدم:

ستعتمد الدراسة على المنهج التاريخي بأدواته المختلفة وذلك بالاعتماد على ماورد في المصادر والمراجع التاريخية،

ومن أجل استيفاء الدراسة حقها تم تقسيمها إلى الآتي:

1.العلاقات السياسية:

أ. التحالفات والاستقلالية:

نجح الليبيون[1] في تكوين معظم وحدات الجيش، وأصبح الرؤساء منهم يتمتعون بنفوذ قوي خاصة وأن البلاد شبه منهارة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً (السيد، صفحة 231)، في هذه الأثناء برز إسم شيشنق عندما تقدم بشكوى أثناء تولي باي نجم الثاني 990- 969 ق.م رئاسة الكهنوت تفيد بسرقة قبر والده في أبيدوس، وقد وصلت شكواه إلى الملك في تانيس فعوضه وأرضاه بوضع تمثال لوالده في معبد أبيدوس، وهذا يدل على أن شيشنق يحسب له حساباً كبيراً، وقد زاد نفوذ الليبيين في زمن حفيده الذي تسمى باسمه شيشنق، وعرف باسم شيشنق الأول في زمن بسوسينس الثاني 959- 945 ق.م، وبلغ من الثراء أنه أوقف لحساب جده نمرود أوقافاً كثيرة، وقد زوج ابنه اوسركون 924-889 ق.م الذي أصبح فيما بعد ملكاً على مصر من ماعت كارع ابنة بسوسنيس الثاني آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين، وبهذه المصاهرة ضمن العرش الملكي (أبو العيون ، 2001، الصفحات 169-170)؛ لأن بسوسنيس الثاني توفي دون أن يكون له وريث، وهكذا استغل شيشنق الأول الفرصة وأعلن نفسه ملك مصر الجديد (سعد الله، 2001، صفحة 137)، ورغم تردد طيبة بالاعتراف بسلطته، إلا أنه تمكن من اتخاذ خطوة دبلوماسية معهم، وهي تعيين ابنه ايوبوت في منصب كبير كهنة آمون[2] مما أتاح له بسط نفوذه على مصر (أديب، 1997، صفحة 231)، ورغم ذلك، بقيت العلاقة بين الأسرة الحاكمة وكهنة طيبة متقلبة، تتأرجح بين العداء والوفاق (عصفور، 1963، صفحة 139) وعلى الرغم من أن شيشنق الأول كان من أصول غير مصرية، إلا أن المصريين اعتبروه ملكًا مصريًا وليس أجنبيًا، نظرًا لاستقرار عائلته في مناطق مثل أهناسيا والفيوم، وتمركز بعضهم في تل بسطة[3]، التي أصبحت لاحقًا عاصمة لثاني ملوك هذه الأسرة (أديب، 1997، صفحة 231).

وفي هذا السياق يُعَدُّ تولي شيشنق الأول العرش من القضايا المعقدة التي تواجه المؤرخين بسبب قلة الوثائق المعنية بذلك، وعلى الرغم من خطوته التي اتخذها في تعيين ابنه والتي تهدف إلى كسب دعم

(1). يعد الليبيون من أوائل الأجانب الذين حكموا مصر في الألفية الأولى قبل الميلاد، بعد الهكسوس، وقد بدأت الاتصالات تتوطد بين المصريين والليبيين مع شيشنق الأول، مؤسس الأسرة الثانية والعشرين، الذي يُعتبر بداية حكمه هو بداية لعصر الليبيين الذي انتهى مع الأسرة الثالثة والعشرين، وتمتد هذه العلاقات منذ العصور السحيقة، وهي علاقات وثيقة وتداخلات حضارية بين المصريين والليبيين. للمزيد ينظر: (فيتمان، 2009، صفحة 25).

(2). بتعيين ابنه في هذا المنصب الديني البارز، ضَمِن شيشنق أن القرارات الدينية ستكون في صالحه، إذ بفضل هذه الخطوة، أصبحت مصر تحت سيطرة شيشنق الأول، حيث امتلك النفوذ الديني والسياسي.

(3). يطلق عليها تل بسطة، وهي مدينة واقعة في شرق الدلتا على الفرع الشرقي للنيل، وهو الإسم الذي اشتق منه إسم الإلهة باستت، وعُرفت في اللغة الإغريقية بإسم بوباستيس ويعود تاريخ تأسيسها إلى زمن الأسرات الأولى. للمزيد يُنظر: (فيرنوس و يويوت، 2001، الصفحات 116-117).

طيبة، (فركوتير، 1993، الصفحات 143-144)، غادر عدد من كهنة طيبة [1] مصر لرفضهم الخضوع للحكام الليبيين، واتجهوا نحو أطراف الحدود المصرية الجنوبية قرب الشلال الرابع وأسسوا أسرة جديدة تحكم في نباتا (بن السعدي، 2009، الصفحات 275-276)، وفي الوقت نفسه، كان شيشنق الأول يثبت نفسه بأنه الرجل القوي وصاحب اليد العليا في مصر، إذ يُعد حكمه بداية جديدة لمصر استعادة فيها قوتها التي ضاعت بوفاة رعمسيس الثالث 1186-1155 ق.م(جريمال، 1993، صفحة 417)، وذلك من خلال تحالفاته الداخلية والخارجية فكانت الداخلية مع القوى المحلية والشخصيات القوية داخل مصر، وبهذا تمكّن من تعزيز الاستقرار الداخلي وتقوية حكمه، إذ ساهمت هذه التحالفات في تنفيذ إصلاحات إدارية شاملة، مما أدى إلى إعادة تنظيم الأقاليم وتعيين حكام موالين له في المناصب الرئيسة، علاوة على ذلك استغل شيشنق الأول تحالفاته مع الكهنة المناصرين له؛ لتعزيز الدين الرسمي وتأكيد شرعيته بصفته الملك الجديد، وبالتالي تحقيق دعم المصريين له، أما تحالفاته الخارجية مثل التحالف مع المدن الفينيقية، والتي لم تكن فقط لتحسين العلاقات التجارية، بل أيضًا لفرض الهيمنة السياسية والعسكرية عليها وعلى المناطق المجاورة، والذي سيتم إيضاحه في فقرة الحملات العسكرية والسيطرة الإقليمية.

من ناحية أخرى، عندما تـــولى شيشنق الأول [2] الحكم، كان سليمان عليه السلام لا يزال يحكم في فلسطين، وذلك في النصف الثاني من زمن حكم شيشنق الأول، وقد تنبأ النبي أشعيا ليربعام، أحد أمراء إسرائيل المناوئين لسليمان عليه السلام، بأنه سيحكم إسرائيل [3]، فحاول سليمان عليه السلام القضاء عليه، ففـر هارباً إلى مصر حيث لجـأ إلى شيشنق الأول (مالمات وتدمور، 2001، صفحة 222؛ سعد الله، 2001، صفحة 139).

في هذا الأثناء اهتم سليمان عليه السلام بالتجارة بشكل كبير، مما جعله يدرك أهمية السيطرة على طرق التجارة الدولية التي كانت تربط بين آرام وبلاد ما بين النهرين وسوريا مع مصر، هذه السيطرة منحته امتيازات سياسية وتجارية كبيرة أثرت على علاقاته مع جيرانه، حيث كانت له تجارة مع مصر، خاصة في مجال المركبات والخيول (ينظر لوحة رقم 1)، وعلى الرغم من ذلك لم تكن هذه التجارة مربحة له، مما دفعه إلى توطيد علاقاته مع المدن الفينيقية، وبالأخص مدينة صور التي كانت تحت حكم الملك حيرام 980-936 ق.م، التي كانت تعد سيدة الساحل الفينيقي تجارياً، وشهرتها بغناها وثروتها التي جمعتها من التجارة البحرية، مما جعل سليمان عليه السلام يمدها بفائض الإنتاج الزراعي مقابل المواد الخام المطلوبة للبناء، مثل أخشاب الآرز وتزويدها بصانعي السفن والملاحين، والدخول معها في تجارة بحرية (الدبس، 1994، الصفحات 321-322؛ مالمات وتدمور، 2001، الصفحات 217-218)، إذ امتلك حيرام أسطولاً تجارياً[4] ضخماً ساعده على فرض سيطرته على تجارة البحر المتوسط (إبراهيم، 2011، صفحة 27)، خاصة قبرص وإسبانيا، كما قام بتوصيل معبد ملقارت الموجود على جزيرة صغيرة إلى جزيرة صور وهيأه كميناء يستقبل السفن (كونتنو، 2001، صفحة 71).

أدى هذا التبادل التجاري إلى تعزيز الديناميات الاقتصادية والسياسية حيث ساعد في تدفق السلع والخدمات في المنطقة، مما ساهم في تنوع المنتجات المتاحة في الأسواق، فالفينيقيون معروفون بتجارتهم البحرية وبتصدير الأخشاب، وصناعة الأصباغ الأرجوانية، والزجاج، وبذلك تجسد تجارة

(1). تم اعتبارهم أنهم أصل ملوك أثيوبيا الذين دخلوا مصر فيما بعد وأسسوا فيها الأسرة الخامسة والعشرين. للمزيد يُنظر: (حسن، 1952، صفحة 108).

(2). ناصب شيشنق الأول العداء لسليمان عليه السلام لأنه ارتبط بعلاقة مصاهرة مع الأسرة السابقة، للمزيد يُنظر: (مالمات و تدمور، 2001، صفحة 222)، مع العلم أنه لم يتم التعرف إلى الآن على إسم الملك الذي صاهر سليمان عليه السلام.

(3). "أنه لاقاه أخيا الشيلوني النبي في الطريق وهو لابس رداءً جديداً، وهما وحدهما في الحقل، فقبض أخيا على الرداء الجديد الذي عليه ومزّقه اثنتي عشرة قطعةً، وقال ليربعام خذ لنفسك عشر قطع لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل، هاأنذا أمزق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط، ويكون له سبط أحد"، "وطلب سليمان قتل يربعام فقام يربعام وهرب إلى مصر إلى شيشق ملك مصر وكان في مصر إلى وفاة سليمان" للمزيد ينظر: (العهد القديم، سفر الملوك الأول 40، 32/31)، يُعرف سليمان عليه السلام في الإسلام بأنه نبي وملك حكيم، وأن الله سبحانه قد منح سليمان عليه السلام ملكًا عظيمًا، لكن في النصوص الكتابية الأخرى، مثل العهد القديم، يتم تصويره كشخصية تاريخية.

(4). أبحر أسطول سليمان عليه السلام مع أسطول حيرام إلى أوفير لجلب الذهب والأحجار النفيسة والأخشاب وغيرها من المواد، والتي لا يعرف مكانها تحديداً وذهبت الآراء إلى عدة أماكن منها بلاد العرب، أفريقيا الشمالية، جزيرة سيلان، الهند وغيرها من الأماكن للمزيد يُنظر: (لبحور، 2010، صفحة 109).

سليمان عليه السلام مثالاً بارز على كيفية استخدام العلاقات التجارية كأداة استراتيجية لتعزيز النفوذ السياسي والاقتصادي، فقد كان استثمار سليمان عليه السلام في بناء تحالفات تجارية مع الفينيقيين، وخاصة مع مدينة صور، خطوة حاسمة في تأمين طرق التجارة الدولية وضمان تدفق الموارد الأساسية إلى مملكته، مما ساعد في تعظيم تأثيره في المنطقة وتعزيز مكانته سياسياً واقتصادياً بين القوى المجاورة.

وبعد وفاته عليه السلام 923 ق.م، تولى ابنه رحبعام الملك من بعده، لكنه لم يتمكن من الحفاظ على تماسك المملكة، حيث خرج عليه عشرة أسباط من سبط اليهود ومن ضمنهم يربعام، ولم يبق معه سوى سبطي يهوذا وبنيامين، وانقسمت مملكة إسرائيل إلى قسمين القسم الشمالي عُرف بإسم مملكة إسرائيل وعاصمته السامرة ويحكمه يربعام[1] الأول 930-910 ق.م، والقسم الجنوبي وملكه رحبعام 930-913 ق.م، وعرف بإسم مملكة يهوذا [2] وعاصمته أورشليم (ينظر خريطة رقم 2)، وقد حاول رحبعام لفترة طويلة استرجاع القسم الشمالي (زكي، 1967، صفحة 227)، ساهم هذا الانقسام والتوتر المستمر بين المملكتين في انتشار العبادة الوثنية، حيث لعبت مجموعة من العوامل المتداخلة دورًا كبيرًا في ذلك، فقد تزوج العديد[3] من الملوك من نساء أجنبيات جلبن معهن ممارساتهن الدينية الوثنية، مما أدى إلى إدخال عبادات وثنية إلى المملكة، كذلك فإن المملكتان كانتا محاطتين بشعوب وثنية مثل الكنعانيين، الفينيقيين، المصريين، والآراميين، والتفاعل المستمر مع هذه الشعوب من خلال التجارة والتحالفات العسكرية ساهم في انتشار ممارساتهم الدينية، خاصة أن عدد من الملوك عقد تحالفات مع ممالك وثنية للحصول على دعم عسكري أو سياسي، مما أدى إلى قبول بعض الممارسات الوثنية كجزء من هذه التحالفات.

ب. الحملات العسكرية والسيطرة الإقليمية:

في هذا السياق، تحرك شيشنق الأول لتعزيز نفوذ مصر واستغلال الفراغ السياسي الناتج عن هذه الانقسامات الداخلية، بعد أن عزز تحالفاته الداخلية [4]، إذ بدأ شيشنق الأول بتنظيم حملات عسكرية موجهة نحو المدن الفينيقية ومملكة إسرائيل، حوالي عام 926 ق.م، حيث قاد جيشاً قوامه 1200 عربة حربية و60 ألف فارس نحو أورشليم مستغلاً فرصة الاضطرابات الداخلية، ودمر المدينة وأسر أهلها، ثم واصل حملته إلى مدينة مجدّو حيث أقام لوحاً تذكارياً فيها يخلد انتصاره (جريمال، 1993، صفحة 419).

واصلت حملة شيشنق الأول مسيرتها حتى وصلت شاطئ بحر الجليل وماهنيم بوادي الأردن، ثم اتجهت قواته نحو مدن سهل يزرعيل مثل برهوب وحفرايم ومجد وتناخ وشونم وبيت شين شرقي وادي الأردن، بينما استولت على مدن الجنوب مثل يرازا وبيت حورن وأبالونا وجبيون وسكو وشرحان، وقد أسفرت الحملة عن تدمير العديد من المدن اليهودية، ورغم أنها لم تستمر طويلاً، لكنها نجحت في إخضاع مملكتي اليهود للنفوذ المصري (زكي، 1967، الصفحات 227-228).

وبهذا نجحت حملته في انتشار النفوذ المصري وزيادة الثروات، حيث أظهرت ثراء أورشليم وانتعاش اقتصاد مصر خلال القرنين التاليين، كما يتضح من الازدهار المعماري الذي تحقق في فترة حكم ملوك هذه الأسرة، والذي ما زالت آثاره موجودة حتى اليوم في معبد الكرنك (حسن، 1952، الصفحات 132-133).

وبهذا أدرك يربعام أن هدف شيشنق الأول من قبول طلبه باللجوء إليه لم يكن لمساعدته، بل كان سياسياً بحتاً، حيث كان يسعى إلى تعزيز السيطرة المصرية على فلسطين، ورغم أن النقوش التي تركها

---

(1) . تصادف السنـــة الخامسة من حكـــم يربعام عام 929 ق.م، مع السنة الحادية والعشرين من حكم شيشنق الأول. للمزيد ينظر: (السيد، صفحة 233).

(2). تقع مملكة إسرائيل على مفترق الطرق المؤدية إلى آسيا وبلاد مابين النهرين ومصر، ما جعلها بلداً تجارياً، بعكس مملكة يهوذا التي عاشت في عزلة عن المحيطين بها. للمزيد ينظر: (اسماعيل، 2001، صفحة 99) .

(3).من ضمنهم أجاب بن عمري ملك إسرائيل تزوج بايزي بعل بنت ايثوبعل الأول ملك مدينة صور. للمزيد ينظر: (الساحلي، 2007، صفحة 33) .

(4) .ظهر انقطاع مفاجئ في مصادر عصر الانتقال الثالث، وقد يُعزى هذا الانقطاع إلى أسباب إدارية أو إلى ظروف حفظ البرديات في شمال البلاد، حيث كانت أجهزة السلطة مركزية في ذلك الوقت، تم تعويض هذا النقص جزئيًا من خلال بعض النصوص المنقوشة مثل لوحات الهبات، ولوحات السيرابيوم، ونصوص الوحي في الكرنك. للمزيد ينظر: (هوسون و فالبيل، 1995، صفحة 166)

شيشنق على جدران معبد الكرنك [1] لا تقدم تفاصيل واضحة عن الحملة (السيد، صفحة 233؛ عصفور، 1963، صفحة 141).

لم يدرك الباحثون في بداية الأمر دوافع توجه شيشنق الأول نحو فلسطين، مما أثار تساؤلات حول ما إذا كانت أهدافه تتضمن استعادة مجد مصر القديم، أم تحسين الوضع الاقتصادي لها في ذلك الوقت، أم دعم يربعام الذي استقبله وقدم له المساعدة؟ (سليم، 1989، صفحة 184)؛ ليتبين فيما بعد أن الأمر مخططٌ له من البداية، فمن صالح شيشنق الأول أن يكون له حليف قوي وقريب منه مثل يربعام يستغله لتحقيق مصالحه السياسية، وما إن تحقق ما أراده من خلافات وانقسامات عاد شيشنق الأول إلى الساحة ليعيد لمصر سابق مجدها، وفي الوقت نفسه يفتح باب الشرق من جديد لفرض الجزية على ما سيطر عليه من مناطق، وبالتالي أثبت نفسه على أنه ملك قوي، خاصة وأن كل من حكم مصر في ذلك الوقت كان يسعى لتحقيق هذا الهدف.

كما يُلاحظ عند تتبع سياسة شيشنق خلال هذه الفترة أنها اتبعت منهج الود الظاهري مع ملوك إسرائيل، في محاولة منه لكسب الوقت وانتهاز الفرصة المناسبة لإثارة الخلافات والقلاقل فيما بينهم؛ لغرض إضعافهم وبالتالي يتمكن من الدخول إلى فلسطين واسترداد نفوذ مصر السابق الذي كسبته بالسيف، وقد تحقق المُراد في الحصول على فرصة، وذلك على أثر وفاة سليمان عليه السلام حيث حدث التمزق الذي تنبأ به النبي أخيا فى فلسطين (حسن، 1952، صفحة 132).

عليه يمكن الاستدلال على نجاح شيشنق الأول في توسيع نفوذه الآسيوي، من خلال جانبين الأول الفلسطيني فقد كانت فلسطين تحت سيطرة مملكة إسرائيل لحوالي سبعين عامًا قبل حملة شيشنق الأول، وبعد حملته، خضعت معظم المدن الفلسطينية لحكمه مما أضافها إلى مملكته ودفعت له الجزية، وقد سبقت سيناء فلسطين في الانضمام إلى مصر عندما هزم شيشنق البدو في منطقة البحيرات المرة قبل دخوله غزة، أما الثاني وهو الشامي فإن احتلال شيشنق الأول لمدينة مجدو في شمال فلسطين إشارة إلى بداية معرفة الممالك والمدن الفينيقية بقوته، حيث خضع له ملوكها وأمراؤها، وقدموا له الهدايا ونصبوا له التماثيل دليلاً على الولاء، ويعتبر الأثر الموجود في مدينة جبيل شاهدًا على العلاقة الودية بين الفينيقيين وشيشنق، الذي حل محل الملك سليمان عليه السلام، صديقهم السابق، وبذلك آل حكم المدن التي كانت واقعة تحت سيطرة سليمان عليه السلام إلى شيشنق الأول (الصويعي، 2013، الصفحات 189-191).

استمرت هذه المدن خاضعة للحكومة المركزية في مصر خلال حكم الأسرتين الليبيتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين، رغم بعض فترات التمرد التي أجبرت حكام مصر على إرسال جيوش جديدة إلى فلسطين، وقد أشارت نصوص من العهد القديم إلى حملات جاءت من مصر إلى فلسطين، تكونت من جيوش ليبية وإثيوبية، ومع مرور الزمن، بدأت الإمبراطورية التي أسسها شيشنق الأول في 925 ق.م بالتقلص تدريجيًا، خاصة مع التدخل الآشوري في القرن الثامن قبل الميلاد، ثم البابلي في القرن السادس قبل الميلاد، وصولًا إلى الفتح الفارسي، ومن بعده الإسكندر المقدوني في القرن الرابع قبل الميلاد، مما أحدث تحولًا جذريًا في تاريخ المنطقة (الصويعي، 2013، الصفحات 190-191)

وبهذا يفهم أن الحملة العسكرية التي قادها شيشنق الأول لها أبعادًا كثيرة على المنطقة، وأنها كانت جزءًا من استراتيجية شاملة تهدف إلى إعادة تأكيد النفوذ المصري على جزء من المشرق القديم وخاصة المدن الفينيقية، إذ تمكن شيشنق من تعزيز موقفه السياسي في مصر واستغلال الأوضاع المتردية في فلسطين لصالحه من خلال تحالفه مع يربعام، مما يبرز كيف استخدم الفرص السياسية لتحقيق أهدافه وتعزيز قوة مصر في المنطقة، ومن ثم تحسن الوضع الاقتصادي لمصر، إذ أسفرت السيطرة على أورشليم عن تدفق الثروات إلى خزائن مصر، واستفادتها من الموارد الطبيعية، كما تعكس الحملة تخطيط شيشنق الأول وتنفيذه الاستراتيجيين من خلال اختياره للأهداف بعناية واستخدام التكتيكات العسكرية لتعزيز القوة العسكرية لمصر، كما عززت مكانة شيشنق بصفته ملك قوي، وساهمت في تشكيل العلاقات المستقبلية بين مصر والمدن الفينيقية ومملكة إسرائيل، مع تأثيرات محتملة على التاريخ اللاحق للمنطقة.

(1)."لو كانت ثمة أسفار فينيقية أو فلسطينية لكانت اختلفت بشكل درامي عن الأسفار اليهودية" هكذا كتب أرنولد توينبي قاصداً أن ما يكتب عن تاريخ المنطقة معتمداً على أسفار اليهود. للمزيد ينظر (توينبي، 1988، الصفحات 165-166).

2. العلاقات الاقتصادية:

أ. التجارة بين مصر والمدن الفينيقية:

لا شك أن العلاقات التجارية بين فينيقيا ومصر تمتد جذورها في عمق التاريخ منذ عصري نقادة الثانية والثالثة، وازدادت حيوية منذ بداية الألفية الثانية قبل الميلاد2000-1500 ق.م، غير أنه بعد وفاة رعمسيس الثالث، اتجهت مصر وفينيقيا نحو مرحلة مختلفة، حيث دخلت مصر في فترة من الانهيار الداخلي وفقدان السلطة المركزية، مما أثر سلبًا على الاقتصاد وعمت الفوضى والاضطراب (كونتنو، 2001، صفحة 242).

إذ تعرض العالم القديم خلال هذه الفترة، لأزمات كبيرة [1] تركت آثارًا واضحة على الخريطة السياسية والاقتصادية في المشرق القديم، فهذه الأزمات أدت إلى ركود وارتباك سياسي، مما أثر سلبًا على التجارة والعلاقات بين فينيقيا ومصر، فمثلاً تأثرت فينيقيا بشكل كبير ونهبت مدنها مثل صيدا وصور، مما أضعف علاقاتها مع مصر، كما احتجز أحد رُسل رعمسيس التاسع في جبيل [2]، مما يدل على تراجع النفوذ المصري في المنطقة لصالح قوى أخرى مثل آشور [3] (عبدالحميد، 2009، الصفحات 242-243).

وتشير الشواهد التاريخية إلى أنه بعد فترة من الاضطرابات، دخلت فينيقيا مرحلة من الانتعاش في الربع الأول من الألفية الأولى قبل الميلاد، والتي وُصفت بأنها العصر الذهبي للفينيقيين، إذ خلال هذه الفترة، تمتعت فينيقيا بفترة من السلام دامت قرنين، ما جعلها تصل إلى ذروة نشاطها التجاري وتوسعها البحري، حيث أسس الفينيقيون وكالات تجارية ومستعمرات دائمة في مناطق متعددة حول حوض البحر الأبيض المتوسط، بما في ذلك قبرص، ورودوس، ومصر، وشمال أفريقيا، وجنوب إسبانيا (عبدالحميد، 2009، صفحة 244).

لذلك عمل شيشنق الأول على إعادة الروابط مع بيبلوس [4]، المنفذ التقليدي لتجارة مصر (جريمال، 1993، صفحة 419)، والتي تراجعت خلال حكم الأسرة الحادية والعشرين، حيث أهدى شيشنق الأول تمثالاً جالساً له إلى معبد سيدة بيبلوس، مما يشير إلى تجديد العلاقات التجارية والسياسية مع بيبلوس في ظل حكم حاكمها أبي بعل (مهران، 1994، صفحة 230).

وقد يكون النص النذري لـ أبى بعل الموجود على تمثال شيشنق الأول الذي أهداه إلى المعبد، دليلاً على تزامن وجود هذا الحاكم مع بعل بزر حاكم صور، إذ يُظهر النص وجود علاقات وثيقة ذات طابع اقتصادي وسياسي بين جبيل ومصر أكثر من كونها علاقات عسكرية، وبذلك تكون استعادت فرض سيادتها لفترة من الزمن على مناطق سوريا وفلسطين (عبدالحميد، 2009، صفحة 245).

ويجدر بالذكر أنه رغم تراجع العلاقات خلال الأسرة الحادية والعشرين، لم تتخل بيبلوس عن مصر في أحلافها أو حروبها على المدى الطويل، فهذا النوع من العلاقات عادة يكون مرتبطاً بالموقع الجغرافي، لذلك كانت بيبلوس دائماً قريبة من مصر ولاتحيد عنها إلا نادراً، بعكس أوغاريت التي كانت

(1). نتيجة لغزوات شعوب البحر حوالي عام 1200ق.م، انهارت سيطرة القوى العظمى في مصر وبلاد مابين النهرين والحيثيين بالإضافة إلى استيطان شعوب صغيرة جديدة في المناطق الداخلية مثل الآراميين والعبرانيين.

(2). القصة توضح كيف رفض حاكم جبيل طلب المصريين للحصول على أخشاب الأرز دون دفع مقابل، مما يعكس تلاشي النفوذ المصري فيها. للمزيد ينظر: (كونتنو، 2001، صفحة 68).

(3). في العصر الآشوري الحديث، سعت الإمبراطورية الآشورية إلى معالجة بعض أزماتها الاقتصادية من خلال شنّ الحروب والتوسع العسكري، وقد تفاقمت الأزمات الاقتصادية نتيجة لهذا التوسع المستمر، ما أدى إلى تدهور الزراعة وانخفاض الإنتاج، وزيادة معدلات الفساد وضعف السيطرة المركزية ما ساهم في تأجيج الثورات والاضطرابات الداخلية، ومع تفاقم الوضع، حاول كل حكام الدولة الآشورية التصدي لهذه الأزمات عبر تطبيق إصلاحات اقتصادية تضمنت إعادة توزيع الأراضي، وتحديث نظم الضرائب، وتفعيل شبكة إدارية جديدة، ورغم هذه الجهود، لم تكن النتائج كافية لتحسين الأوضاع الاقتصادية بشكل ملحوظ، ما أدى إلى استمرار التمردات وزيادة الضغط على الدولة، إلى جانب ذلك، كانت الحروب التي اعتمدتها الإمبراطورية كوسيلة لتعزيز الاقتصاد تتسبب في إنهاك موارد الدولة، حيث كانت تكاليف التوسع الإمبراطوري كبيرة، كما زادت تحديات إدارة الأراضي الشاسعة من تعقيد الوضع، ما أدى في النهاية إلى إضعاف الدولة بشكل كبير، خاصة في الأقاليم البعيدة عن المركز. للمزيد ينظر: (الطائي، 2021، الصفحات 82-85)

(4). تقع عند سفوح جبال لبنان على بعد 40 كم إلى الشمال من بيروت، عرفت بعدد من الأسماء منها جبلة وهي تسمية فينيقية وتعني بعلت جبال أي صاحبة الحدود، وKepen تسمية مصرية وهي تحريفا لاسم جبلة، وبيبلوس التسمية الإغريقية وتعني الورق ومنها إشتقت تسمية Bible أي الكتاب المقدس في اللغات العالمية اليوم، للمزيد ينظر: (الدوري ط.، 2020، الصفحات 50-51).

أقرب إلى قبرص والحيثيين والحوريين [1]، مما جعل لهم مكانة سياسية أكبر من مكانة مصر (كونتنو، 2001، صفحة 70).

وقد تفرغ شيشنق الأول بعد عودته من حروبه في فلسطين، للشؤون العمرانية داخل البلاد، ليخلفه ابنه أوسركون الأول (924-889 ق.م) الذي قضى سنوات طويلة في الحكم متبعًا سياسة والده، حيث صرف أموالًا كثيرة على المعابد، خاصة في كل من منف وهليوبوليس وهرموبوليس وبوبسطة، ولا يُعلم حقيقة مصدر كل هذه الأموال، وإن كان من المحتمل أنها من بقايا الثروة التي جلبها شيشنق من فلسطين، كما استمرت علاقاته الطيبة مع بيبلوس، ويتضح ذلك من التمثال الذي أهداه لمعبدها (بن السعدي ، 2009، الصفحات 278-283)، ليؤكد علاقاته مع الشرق (علي، (د.ت)، صفحة 261).

وعليه، يجدر بالذكر أنه لا يمكن الاعتماد على سجلات الأحداث عن فينيقيا ومصر وإسرائيل في الحصول على معلومات عن هذه الفترة إلا بمساعدة النتائج الأثرية حتى وإن كان ذلك بشكل محدود، فقد تكون مبادرة العلاقات التي برزت بين بيبلوس ومصر قد بدأها الجانب الفينيقي، ويستدل على ذلك ببعض التماثيل التي تعود إلى شيشنق الأول، وأوسركون الأول، وأوسركون الثاني 874-850 ق.م، والتي خصصت لها نصوصاً فينيقية تحكي عن أصلها المصري، كما تمتعت الأسرة الثانية والعشرون بعلاقة طيبة مع صيدا، ويؤكد ذلك هدية الألباستر [2] التي قدمها أوسركون الثاني، كما تشير بعض النذور المقدمة من قبل أوسركون الثاني وشيشنق الثاني وتكلوت الثاني 850-825 ق.م، إلى الجهود المبذولة من كلا الطرفين للعمل على تقوية الصلة بينهما وبالتالي من المؤكد أن المصريين اشتروا خشب الأرز من صور طوال فترة عصر الحديد (ردفورد، 2005، الصفحات 279-280).

ب .تأثير التبادل التجاري على الاقتصاد المصري والفينيقي:

وفقًا للتوراة، وتحديدًا في سفر الملوك الأول (15: 2)، تعرض الملك أسا 908-868 ق.م ملك يهوذا لهجوم من قبل زارح، قائد جيش مصر، وأشارت المصادر المصرية إلى أن هذا الهجوم كان بقيادة أوسركون الأول، الذي كان يسعى لتعزيز سيطرة مصر على المناطق المجاورة، وبهذا يعكس هذا الهجوم التوترات الإقليمية في تلك الفترة، كما ذكرت أسفار التوراة أن الهجوم وقع حوالي عام 897 ق.م، وكان جزءًا من محاولة أوسركون الأول لمتابعة نهج والده شيشنق الأول والحصول على بعض الغنائم، ومع ذلك يبدو أن هذا الهجوم قد فشل، حيث لم يُذكر له أي أثر في النقوش المصرية، كما هناك شكوك حول صحة تفاصيله، بما في ذلك الأعداد المبالغ فيها للجيش المصري، وكذلك قدرة مملكة يهوذا على هزيمة هذا العدد الكبير من الجنود (مهران، د.ت، الصفحات 615-616).

عيّـن أوسركون ابنه شيشنق الثاني محل أخيه أيوولوت في منصب كبير كهنة آمون، كما أنه أشركه في الحكم حوالي عام 890 ق.م، غير أنه توفى ودفن في تانيس، ومن بعده توفى والده ليخلفه ابنه تكلوت الأول 767 -889 ق.م[3]، الذي لم يعترف به أخيه ايووولوت كبير كهنة آمون، مما أدى إلى بدء خلافات داخلية بين تانيس وطيبة بعد أن نجح أسلافهم في خلق توازن نسبي بينهما[4] مما أثّر سلباً على بعض النظم السياسية المُتبعة (بن السعدي ، 2009، الصفحات 278-279؛ سليم، 1989، صفحة 185)، لينتقل الحكم من بعد ذلك إلى أوسركون الثاني الذي عيَّن أبناءه في الوظائف المهمة في الدولة مع استمرار النزاع بين تانيس وطيبة؛ مما جعل أوسركون الثاني يشرك ابنه تكلوت الثاني في الحكم ليضمن وراثة العرش له (أديب، 1997، صفحة 232).

(1). لا يزال أصلهم مجهولاً فلا يعرف إلى أي شعب ينتمون هل سامي أم هندي أم أوروبي، قدموا أواخر القرن الثامن عشر قبل الميلاد، من مرتفعات تقع في شمال شرق الهلال الخصيب، حيث اتجهوا نحو شمال بلاد مابين النهرين ومنها إلى سوريا الشمالية، للمزيد يُنظر: (لبحور، 2010، صفحة 50).

(2). يُعرف بإسم كبريتات الكالسيوم، وهو من الجبس الطبيعي، لونه أبيض أو مختلط بلون بني يميل للاحمرار، تكوّن نتيجة تبخر الرواسب البحرية، ويتمتع بدرجة عالية من الليونة يسهل خدشه، يتميز بسهولة تشكيله، وقد استخدمه فراعنة مصر منذ القدم في المعابد والتماثيل وكذلك صناعة الأواني والتحف. للمزيد يُنظر: (بخيت، بلا تاريخ).

(3). وجد له أثر في مدينة بيبلوس (علي، (د.ت)، صفحة 262).

(4). للمـــزيد من التفاصيل عن هـــذا الموضوع يُنظر: (بن السعدي ، 2009، الصفحات 278-283).

في هذه الأثناء واصل أوسركون الثاني سياسة التحالف مع بيبلوس، غير متجاهل ظهور قوة كبيرة في المنطقة هي قوة أشور، تحت قيادة ملكها أشور ناصيربال الثاني 883-859ق.م[1]، الذي أخذ يوسع حدود دولته فاستولى على شمال بلاد ما بين النهرين والفرات الأوسط، وواصل مسيرته حتى سوريا ونهر العاصي وساحل عمورو، وحصل على الكثير من الغنائم التي نقلها إلى قصره في مدينة نمرود بالقرب من الموصل الحالية، إلى أن خلفه ابنه شالمناصر الثالث858-824ق.م، وهو معاصراً لكل من أوسركون الثاني وتكلوت الثاني (جريمال، 1993، الصفحات 422-423).

وفي هذه الفترة شهدت فترة حكم ملك صور إتو بعل الأول 887-856 ق.م ومن خلفه زيادة في مكانة صور التجارية، ففي الجزء الجنوبي من المدينة، بُني ميناء جديد عُرف باسم الميناء المصري، مما يدل على العلاقة التجارية الكبيرة بين مصر وصور (كفافي ، 2011، صفحة 405).

استمرت حروب شلمناصر الثالث لمدة ثلاثين عامًا في سبيل السيطرة على شمال سوريا، حيث واجه تحالفًا مكونًا من اثني عشر ملكًا، من أبرزهم ملوك حماة ودمشق وإسرائيل، هذا التحالف كان مدعومًا عسكريًا من قبل مصر، التي أرسلت 1000 جندي، ومن بيبلوس التي أرسلت 500 جندي، وقد تواجه الطرفان عند مدينة قرقار (خريطة رقم 3) على نهر العاصي عام 853 ق.م، النصر كان فيها من نصيب الآشوريين، مما اضطر بالمدن الفينيقية بما في ذلك صور وصيدا إلى دفع الجزية في المقابل، وقررت مصر الاستمرار في دعم المدن الفينيقية وفلسطين لتصنع منها حصنًا قويًا ضد الآشوريين الذين كانوا يسعون للسيطرة عليها (جريمال، 1993، صفحة 423).

يجدر بالذكر أن إحدى حوليات شالمناصر الثالث أوردت هذا النص "في العام السادس من حكمي خرجت من نينوى، وعبرت نهر دجلة متجهاً نحو مدن البليخ، ثم عبرت نهر الفرات إلى كركميش وأخذت من حاكمها الجزية، ثم تابعت الى حلمان (حلب) وقدمت القرابين لألهها أدد- ثم توجهت الى أير خولیني ملك حماة واستوليت على مدينته الملكية وحصلت على غنائم منه وجمعت ثروة قصره وأخذتها معي، ثم أحرقت تلك القصور، من ارغانا تحركت نحو قرقار... وكنت واجهت فيها 1200 عربة حربية، و 1200 فارس، و 200 جندي تابع لأدد -أدري ملك دمشق، و700 عربة حربية، و 700 فارس، و1000 جندي تابع لارخولیني ملك حماة، و200 عربة حربية من مدينة قوية، و 100 جندي من موصري، وعشر عربات و1000 جندي من عرقانة، و 200 جندي تابع لماتي بعل ملك ارواد، و200 جندي من أوستانو، و30 عربة حربية و 100 جندي تابع لادون بعل ملك سيانو، و 1000 جندي تابع لجندب العربي[2]، و1000 تابع ليعشا بن رحوبي ملك بلاد العمونيين،... هؤلاء الملوك الاثنا عشر جاء بهم كحلفاء له... ولكن بالقوة الجبارة التي منحني اياها الإله آشور دحرتهم وقتلت من محاربيهم أربعة عشر ألفاً، ونثرت جثثهم بعيداً، وجعلت دمائهم تسيل في الوديان ومددت أجسادهم جسراً على العاصي وغنمت منهم عرباتهم وخيالتهم وخيولهم" (الدوري ط.، 2020، الصفحات 93-94)

يشير النص الآشوري إلى مشاركة محدودة لممالك المدن الفينيقية مثل أرواد وسيانو في معركة قرقار، وربما كانت تحت سيطرة الآراميين. كما يُشير النص إلى دعم مصري المشار إليها باسم "موصري" في المعركة، ولكنه لا يذكر مدنًا كبرى مثل صور وصيدا بشكل صريح. هذا يتفق مع فكرة

(1) . في الألف الأول قبل الميلاد، أدى توسع الدولة الآشورية إلى خلق حالة من الغضب بين الشعوب التي خضعت لسيطرتها، مما دفعها إلى السعي للتخلص من الهيمنة الآشورية التي امتدت عبر معظم أنحاء المشرق القديم، من آسيا الصغرى شمالاً إلى الخليج العربي جنوباً، ومن عيلام شرقاً إلى مصر غرباً، وقد تشكلت تحالفات متعددة على جبهات مختلفة لمواجهة هذا التوسع؛ ففي الغرب تحالفت المدن الآرامية مع مملكة إسرائيل ضد آشور، ودعمت مصر تلك التحالفات بالمال والإمدادات العسكرية لحماية مصالحها في بلاد الشام في الجنوب، أقامت القبائل الكلدية تحالفات مع عيلام، بينما شكلت أوراتو في الشمال والشمال الشرقي تهديداً كبيراً للآشوريين، ولمواجهة هذه التمردات، أطلق الملك الآشوري آشور ناصر الثاني 883-859 ق.م، حملات عسكرية تهدف إلى قمع الدول المحرضة على التمرد ومع تصاعد دور هذه الدول المحرضة، توسعت سياسة آشور لتشمل مناطق أوسع، ونجحت حملاته في فرض سيطرة كاملة على مناطق حوض الفرات. للمزيد ينظر (الأعرجي، 2024، الصفحات 94-95).

(2) .أقدم إشارة لذكر العرب في النصوص المسمارية تعود إلى زمن الملك سرجون الأكادي 2371-2316 ق.م مؤسس الدولة الأكادية، وذلك عندما قاد حملة من بلاد مابين النهرين باتجاه الجزيرة العربية في تلك الحملة واجه قبائل عربية ذُكرت في المصادر البابلية بأسماء عرب ملوكا أو "عرب ملوقا وأيضا عرب مكان" أو معان، أما الذكر الأكثر أهمية للعرب في النصوص المسمارية فيعود إلى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد، ويظهر في نصوص الملك الأشوري تجلات بلاصر الثالث المعروفة بإسم القرقار نظراً لتضمّنه إشارات إلى هذه المعركة.للمزيد ينظر: (الرملي، 2023، صفحة 44،56).

أن المشاركة الفينيقية كانت محدودة وضعيفة، والنصر الآشوري في المعركة يعزز الفكرة بأن الحملات الآشورية لم تكن تشكل تهديدًا كبيرًا للمدن الفينيقية الكبرى، التي ربما فضلت البقاء على الحياد.

وعلى كل حال دعم مصر لهذا التحالف يعني تبني استراتيجية عسكرية جديدة ارتكزت على دعم المدن الفينيقية وممالك اسرائيل؛ لتشكيل جبهة قوية ضد الأشوريين، واستمرت هذه المرحلة الحربية لمدة عشرين عاماً؛ لتخضع في النهاية هذه الممالك لأشور ودفع ياهو 841 ق.م ملك إسرائيل الجزية لها، وأدعت أن مصر خضعت لها وأنها قدمت فروض الطاعة، إلا أنه في السنوات الأخيرة من حكم شالمناصرالثالث ثارت مناطق سوريا وفلسطين لتتحول بعدها إلى حرب أهلية لتتراجع أشور وتبتعد عن المنطقة لما يقرب من قرن من الزمان (جريمال، 1993، صفحة 423).

ولايعرف ما إذا كان هذا التحالف مضبوطًا بمعاهدة عسكرية تنص على تقديم الدعم المتبادل أو كان تحالفًا عفويًا يتشكل فقط عند مواجهة الخطر الآشوري، غير أن الاستقرار النسبي لهذا التحالف وغيره من التحالفات الأخرى التي لم تكن جميعها موجهة ضد آشور مثل التحالف الذي كان ضد حزرك [1] والآخر ضد مملكة إسرائيل وتزعمته دمشق يشير إلى احتمالية وجود اتفاقيات أو شروط محددة (حمّود، 2019، صفحة 67).

وقد ذكرت الحوليات الأشورية في إحدى نصوصها تفاخر شالمناصر الثالث بانتصاره " أنه ذبح 1400 محارب، وأن السهل كان أصغر من أن يحتمل الأعداد الضخمة من الجثث، وأن الأرض الواسعة لم تكن تتسع لدفن قتلاه الذين امتلأ بجثثهم نهر العاصي حتى أقام منها جسراً على النهر وأنه استولى على مركبات أعدائه فضلاً عن خيلهم وسلاحهم" (مهران، 1990، صفحة 375).

بعد كــل من أوسركون الثاني وتكلوت الثاني، تولى شيشنق الثالث 825-773ق.م الحكم، وأبعد الأمير أوسركون الثالث ابن الملك تكلوت الثاني الوريث الشرعي للبلاد [2]، خلفه بعد ذلك عدد من الملوك وهم بامي 772-767 ق.م (أديب، 1997، الصفحات 232-233)،شيشنق الخامس 767-730ق.م، وأوسركون الرابع 730-715ق.م، وهو آخر ملوك هذه الأسرة وكانت له محاولته في العودة مرة أخرى إلى سوريا؛ لعله ينجح في إبعاد الخطر الأشوري عن المنطقة، وذلك بدعم مملكة إسرائيل عسكرياً(كفافي ، 2011، صفحة 408).

وتشير الحملات العسكرية للأشوريين بتغير ميزان القوى في المنطقة وبدء الانهيار التدريجي داخل المدن الآرامية واسرائيل التي شكلت حداً فاصلاً بين الدول الكبرى وفينيقيا، ومن أمثلة التوسع الأشوري في المنطقة ما ذكرته حوليات آشور بانيبال الثاني 883-859ق.م "سرت يومئذٍ محاذياً جبل لبنان، وطلعت إلى البحر الكبير في بلاد العموريين، في البحر العظيم غسلت أسلحتي، وقربت القرابين للآلهة، جبيت الجزية من ملوك الساحل، من أهالي صور وصيدا وبيبلوس ومخلاطا ومايزا وكايزا[3] وعمورو وأرواد، التي تقع في وسط البحر، ذهباً وفضة ورصاصاً ونحاساً وآنية من برونز، وثياباً مصنوعة من صوف ملون، وثياباً من كتان وحماراً كبيراً وقرداً صغيراً، وخشب قبقب، وخشب بقس، وعاجاً ونهيرو وهو من مخلوقات البحر، كل هذا أخذته جزية منهم ثم عانقوا قدمي" (الخطيب، 2007، صفحة 55).

كل هذه الجزية المدفوعة تدل على الازدهار التجاري الذي تمتعت به المدن الفينيقية عقب تخلصها من السلطة المصرية عليها، وحصولها على الحرية التجارية، وعلى كل حال فإنه خلال حكم هذه الأسرة ظهرت أسرة جديدة حاكمة عُرفت فيما بعد بإسم الأسرة الثالثة والعشرين، ويبدو أنها دخلت في صراع مع الأسرة الثانية والعشرين لينتهي هذا الصراع بصلح وتقاسم السلطة، حيث لم تتمكن أي من الأسرتين من حكم مصر بالكامل، لذا عاشت كلٌ منهما مستقلة بحكمها وجيشها الخاص، وقد استمر حكم الأسرة الثانية والعشرين سبعة وأربعين سنة بعد ظهور الأسرة الجديدة (صالح، مختار، و وأخرون، 1997، صفحة 314).

وبهذا وحسب الأدلة التاريخية فإن التبادل التجاري بين مصر والمدن الفينيقية تأثر بشكل مباشر بالأحداث السياسية والعسكرية في المنطقة، فانعكس ذلك على الاقتصادين المصري والفينيقي، فقد كانت

(1). حزرك المعروف أيضًا باسم حزائيل، كان ملكًا آراميًا على مملكة دمشق في القرن التاسع قبل الميلاد، برز كأحد القادة الرئيسيين الذين قاوموا الآشوريين، وذُكر في النصوص الآشورية كعدو بارز لهم، إذ سعى لتوسيع نفوذه في منطقة الشام، كما أن دوره كان محوريًا في تشكيل التحالفات العسكرية ضد آشور وإسرائيل . للمزيد ينظر: (حمّود، 2019، الصفحات 65-70).

(2). للمزيد عن هذا الموضوع يُنظر: (السعدي، 2011، صفحة 182).

(3). لم بتم التعرف على كل من مايزا وكايزا أما مخلاطا فيعتقد أنها ربما تكون مدينة طرابلس، للمزيد يُنظر: (الخطيب، 2007، صفحة 55).

الحروب مثل تلك التي شنها شلمناصر الثالث وأوسركون الأول، تعطل التجارة وتفرض الجزية على المدن الفينيقية، علاوة على ذلك فإن الدعم المصري للمدن الفينيقية في مواجهة التوسع الآشوري يبرز العلاقة بين السياسة والتجارة كجزء من استراتيجية الدفاع المشترك، وهو ما ساهم في ازدهار التجارة في صور ، هذه الأحداث مجتمعة توضح كيف أن الاستقرار السياسي كان حاسمًا للحفاظ على نشاط التبادل التجاري والازدهار الاقتصادي بين مصر والمدن الفينيقية.

في ظل هذا الانقسام، تمكّن بادي باست 818-793 ق.م من إعلان نفسه ملكًا، مُستفيدًا من الفوضى السياسية وغياب السيطرة المركزية، وقد اعتبره مانيثون مؤسس الأسرة الثالثة والعشرين، حيث حصل على دعم كهنة طيبة، مما يشير إلى التحولات الكبيرة في ولاءات الكهنة وتأثيرهم على السياسة، في المقابل، ظل كهنة مدينة منف مخلصين للأسرة السابقة، مما عزز الانقسام بين الأقاليم المختلفة وأدى إلى استمرارية الصراع الداخلي على السلطة (فخري، 1990، صفحة 316).

في هذا السياق، ونتيجة لتغير في ولاء الكهنة تأثر التوازن السياسي، مما أدى إلى صراعات داخلية على السلطة والنفوذ بين الأقاليم، إذ فرضت هذه التغيرات قيودًا على الاستقرار والنمو وأصبحت إدارة الموارد الاقتصادية أكثر صعوبة، وتسبب التنازع بين الأسر الحاكمة في تعطيل المشاريع الاقتصادية الكبرى والتجارة الداخلية، مما أدى إلى تدهور في البنية التحتية وارتفاع التكاليف على الحكومات المحلية التي حاولت التعامل مع الأزمات الاقتصادية بشكل مستقل، على سبيل المثال، مع تزايد الصراعات بين الأقاليم، تدهورت شبكات التجارة الداخلية التي كانت حيوية للاقتصاد المصري وأدت إلى عدم استقرار في الأسواق وارتفاع الأسعار، مما أثر على الحياة اليومية للمواطنين وجعل من الصعب تحقيق النمو الاقتصادي المستدام.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى أن العلاقات الوثيقة بين مصر والمدن الفينيقية في زمن الأسرة الثانية والعشرين لم تكن مجرد علاقات ثانوية، بل كانت حاسمة في صياغة المشهد السياسي والاقتصادي للمنطقة.

لم يكن تولي شيشنق الأول حكم مصر أمراً هيّنا، إذ استلزمه تحقيق ذلك تحركات سياسية واستراتيجية تمُكنه من إحكام السيطرة على مراكز القوة الرئيسية في مصر، من ذلك تعيين أفراد عائلته في مناصب دينية وسياسية، وإقامة تحالفات ومعاهدات مع الدول المجاورة، لتحقيق الاستقرار وتعزيز نفوذه ونفوذ أسرته في المنطقة.

تعد فترة حكم الأسرة الثانية والعشرين، وخاصة فترة شيشنق الأول، فترة حاسمة في تاريخ مصر القديم، تميزت بتحولات سياسية واقتصادية كبيرة، حيث لعبت الحملات العسكرية، والتحالفات السياسية، والعلاقات التجارية، والجهود الدبلوماسية دورًا محوريًا في تشكيل الديناميكيات بين مصر والمدن الفينيقية، كما أظهرت الحملات العسكرية التي قادها شيشنق الأول، وخاصة غزوه لأورشليم، الأهمية الاستراتيجية التي كانت تحظى بها المنطقة بالنسبة لمصر، فهذه الحملات لم تكن مجرد استعراض للقوة، بل كانت تهدف إلى تأمين الموارد الحيوية وتعزيز السيطرة المصرية على الطرق التجارية الحيوية، ومن الناحية الاقتصادية لعبت العلاقات التجارية مع المدن الفينيقية دورًا محوريًا في ازدهار الاقتصاد المصري، حيث ساعدت التجارة مع جبيل وغيرها من المدن الفينيقية في تعزيز الاقتصاد وزيادة نفوذها الإقليمي.

وفي النهاية تجدر الإشارة إلى أن التحولات السياسية والاقتصادية خلال فترة حكم الأسرة الثانية والعشرين أثرت بشكل ملحوظ على المنطقة، وقد ساهمت الحملات العسكرية والدبلوماسية في تحقيق الاستقرار النسبي، بينما تفاعلت العلاقات التجارية مع الفينيقيين لتدعيم الاقتصاد المصري، وبالرغم من هذه التحولات، تبقى الأسئلة حول مدى تعزيزها للقوة الداخلية لمصر مقابل تعزيز الانقسامات الداخلية مسألة تستحق مزيدًا من البحث والتحليل.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر المترجمة:

- الكتاب المقدس، كتب العهد القديم، (2012)، ط3، دار الكتاب المقدس، الإصدار التاسع، القاهرة.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة:

بركات عبدالعزيز أبو العيون . (2001). *معالم تاريخ مصر القديم منذ بداية عصر الدولة الحديثة وحتى مجيء الاسكندر المقدوني*. الأزاريطة: دار المعرفة الجامعية.

االبتهال عادل إبراهيم الطائي. (2021). *دراسات منتخبة من العصر الآشوري الحديث*. دمشق: دار علاء الدين و دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع.

أبراهام مالمات، و حييم تدمور. (2001). *العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة*. (رشاد الشامي، المترجمون) القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات.

أحمد أمين سليم. (1989). *دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر _ العراق _ إيران*. بيروت: دار النهضة العربية.

أحمد فخري. (1990). *دراسات في تاريخ الشرق القديم*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

أرنولد توينبي. (1988). *تاريخ البشرية ج1* (المجلد 2). (نقولا زيادة، المترجمون) بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع.

باسكال فيرنوس، و جان يويوت. (2001). *موسوعة الفراعنة الأسماء- الأماكن- الموضوعات* (المجلد 2). (محمود ماهر طه، المترجمون) القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

ج. شتيندورف ك. سيل. (1990). *عندما حكمت مصر الشرق*. (محمد العزب موسى ، المترجمون) القاهرة: مكتبة مدبولي.

جان فيركوتير. (1993). *مصر القديمة*. (ماهر جويجاتي، المترجمون) القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

جومنر فيتمان. (2009). *مصر والأجانب في الألفية الأولى قبل الميلاد*. (عبدالجواد مجاهد، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

جونيفييف هوسون ، و دومينيك فالبيل. (1995). *الدولة والمؤسسات في مصر من الفراعنة الأوائل إلى الأباطرة الرومان*. (فؤاد الدهان، المترجمون) القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.
حسن محمد محي الدين السعدي. (2011). *في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج2*. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
حسين سيد نور جلال الأعرجي. (2024). *تاريخ وحضارة العراق القديم*. دمشق: دار آرام للنشر.
دونالد ب ردفورد. (2005). *مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم* . (علي خليل، المترجمون) (د.ن): دار الرأي للنشر والتوزيع.
رمضان السيد. (بلا تاريخ). *تاريخ مصر القديمة منذ بداية الأسرة الخامسة عشر حتى دخول الاسكندر الأكبر مصر عام 336ق.م، ج2* .
رمضان عبده علي. ((د.ت)). *رؤى جديدة في تاريخ مصر القديمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات الوطنية، ج4*. القاهرة: المجلس الأعلى للآثار.
زيدان عبدالكافي كفافي . (2011). *بلاد الشام في العصور القديمة من عصور ماقبل التاريخ حتى الاسكندر المكدوني*. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
سليم حسن. (1952). *مصر القديمة نهاية الأسرة الواحدة والعشرين وحكم دولة اللوبيين لمصر، ج9*. د.ن: مطبعة فؤاد الأول.
سمير أديب. (1997). *تاريخ وحضارة مصر القديمة*. الاسكندرية: مكتبة الاسكندرية.
طعمة وهيب الدوري. (2020). *علاقة الآشوريين مع مدن الساحل الفينيقي (911-612) ق.م*. دبي: صفحات للدراسات والنشر والتوزيع .
عارف أحمد اسماعيل. (2001). *العلاقات التاريخية بين مصر القديمة وسوريا في عهد الأسرات من 22-31 (945-332 ق.م)، عارف أحمد إسماعيل، العلاقات التاريخية بين مصر القديمة وسوريا في عهد الأسرات من 22-31 (945-332 ق.م)، (رسالة دكتوراه غير منشورة)*. الاسكندرية: جامعة الاسكندرية كلية الآداب.
عبدالرحمن زكي. (1967). *الجيش في مصر القديمة*. الاسكندرية: الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية.
عبدالعزيز الصويعي. (2013). *تاريخ الحضارة الليبية القديمة*. بنغازي: وزارة الثقافة والمجتمع المدني .
عبدالعزيز صالح، جمال مختار، و وأخرون. (1997). *موسوعة تاريخ مصر عبر العصور* . القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
كونتنو. (2001). *الحضارة الفينيقية*. (محمد عبدالهادي شعيرة، المترجمون) القاهرة: شركة مركز كتب الشرق الأوسط.
محمد أبوالمحاسن عصفور. (1963). *علاقات مصر بالشرق الأدنى القديم*. (د.ن).
محمد الخطيب. (2007). *الحضـــارة الفينيقية* (المجلد 2). دمشق: دار عـــلاء الدين للنشر والتوزيع.
محمد السيد عبدالحميد. (2009). الفينيقيون في مصر خلال الفترة من 948-715 ق.م. *مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، المجلد 10، العدد 1*.
محمد السيد غلاّب. (1969). *الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافيا والتاريخ*. بيروت: دار العلم للملايين.
محمد بيومي مهران. (1990). *المغرب القديم* . الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
ـــــــــــــ .(1990). *تاريخ العراق القديم*. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
ـــــــــــــ. (1994). *المدن الفينيقية -تاريخ لبنان القديم*. بيروت: دار النهضة العربية.
ـــــــــــــ. (د.ت). *مصر والشرق الأدنى القديم منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسرة الحادية والثلاثين، ج3*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
محمد علي سعد الله. (2001). *في تاريخ مصر القديمة والشرق الأدنى القديم*. الأزاريطة: مركز الإسكندرية للكتاب.
محمود حمّود. (2019). *الممالك الآرامية السورية*. دمشق: دار آرام للنشر والتوزيع.
نجم محمود خلف الرملي. (2023). *العرب في المصادر المسمارية*. دمشق: دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع.
نيقولا جريمال. (1993). *تاريخ مصر القديمة* (المجلد ط2). (ماهر جويجاتي، المترجمون) القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

يوسف الدبس. (1994). *تاريخ سوريا الدنيوي والديني، تاريخ شعوب سوريا القدماء ،ج1*. دمشق: دار نظير عبود .

ثالثاً: رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراة:

- عارف أحمد اسماعيل. (2001). *العلاقات التاريخية بين مصر القديمة وسوريا في عهد الأسرات من 22-31 (945-332 ق.م) ، (رسالة دكتوراه غير منشورة)*. الاسكندرية: جامعة الاسكندرية كلية الآداب.
- سميرة الجعراني الساحلي. (2007). نظام دولة المدينة في الساحل الفينيقي صيدا -وصور نموذجا 332-1200ق.م (رسالة ماجستير عير منشورة). طرابلس: جامعة الفاتح.
- سليمان بن السعدي . (2009). *علاقة مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، (أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ القديم غير منشورة)*. قسنطينة: جامعة منتوري.
- سليمة لبحور. (2010). *المملكة العبرانية في عهدي داود وسليمان في الفترة مابين 1004-922 ق.م، (رسالة ماجستيرمنشورة)*. قسنطينة: جامعة منتوري.

ثالثاً: المجلات والدوريات:

-ابتهال عادل إبراهيم. (2011). " صناعة السفن الفينيقية في ضوء منحوتات العصر الآشوري الحديث" *مجلة الدراسات التاريخية والحضارية*(المجلد 3، العدد 3).

-محمد السيد عبدالحميد. (2009). الفينيقيون في مصر خلال الفترة من 948-715 ق.م. *مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب،(المجلد 10، العدد 1)*.

رابعاً: المواقع الالكترونية:

حسن بخيت. (بلا تاريخ). *https://kenanaonline.com/users/hasan/posts/53880*. تم الاسترداد من "الرخام والألباستر المصري صناعة واعدة"المجلة الالكترونية بوابة العرب في الثروات الطبيعية.

The Role of Libyan Influence in Shaping Political and Economic Relations between Egypt and the Phoenician Cities during the 22nd Dynasty (945-730 BCE)

Haifa Abdulrahman Al-Sha'afi
Department of History, Faculty of Arts, Misurata University

Article information

Keywords: Shoshenq I, Solomon (peace be upon him), Phoenician cities, Assyria.

Abstract

This study discusses the reign of the 22nd Dynasty in ancient Egypt (945-730 BCE), with a focus on the political and economic relations between Egypt and the Phoenician cities during the rule of Shoshenq I (954-924 BCE) and his successors. Through an analysis of the policies of Shoshenq I and his successors, the study reveals the role of these relations in enhancing Egypt's political and economic stability and their ongoing impact on the course of Egyptian history. The study also examines the challenges faced by the dynasty, including competition with the Kingdom of Israel led by the Prophet Solomon (963-923 BCE) and the Kingdom of Assyria, and how these challenges affected the dynasty's stability. Finally, the study highlights Shoshenq I's success in expanding Egypt's influence through his military campaigns, leading to significant political and economic stability and ensuring the loyalty of various parties.

ملحق الخرائط واللوحات

أولاً: الخرائط:

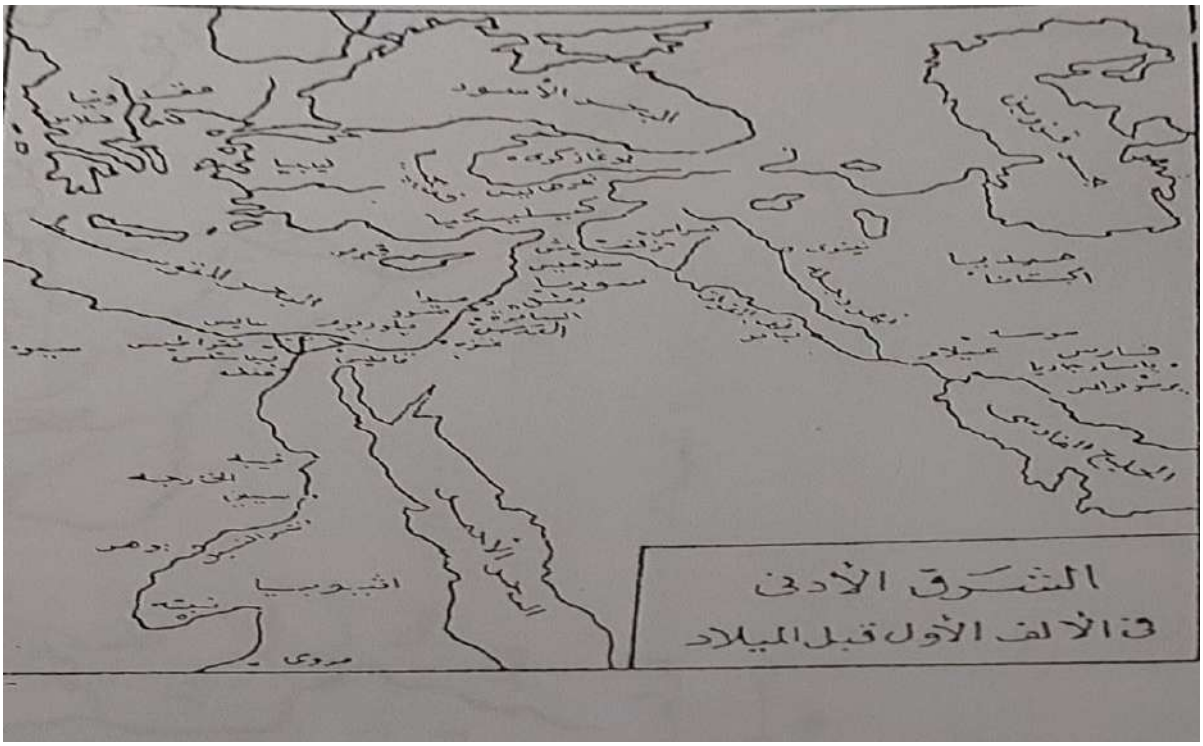

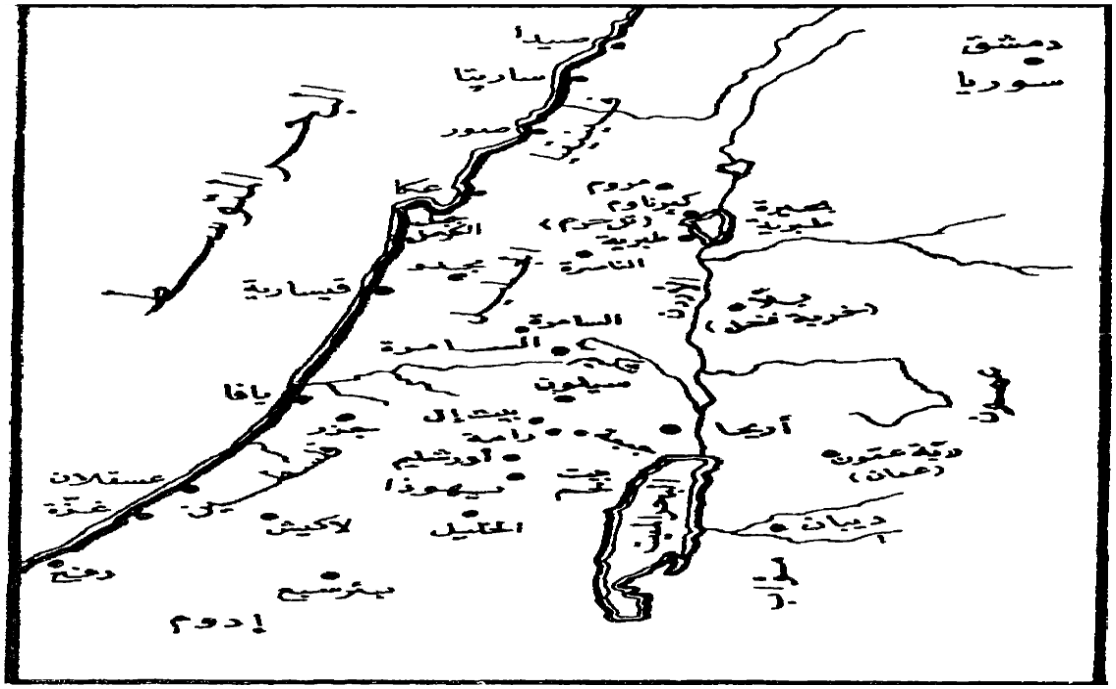

خريطة رقم (3)
خريطة توضح موقع معركة قرقار

(الدوري ط.، 2020، صفحة 230)

ثانياً: اللوحات:

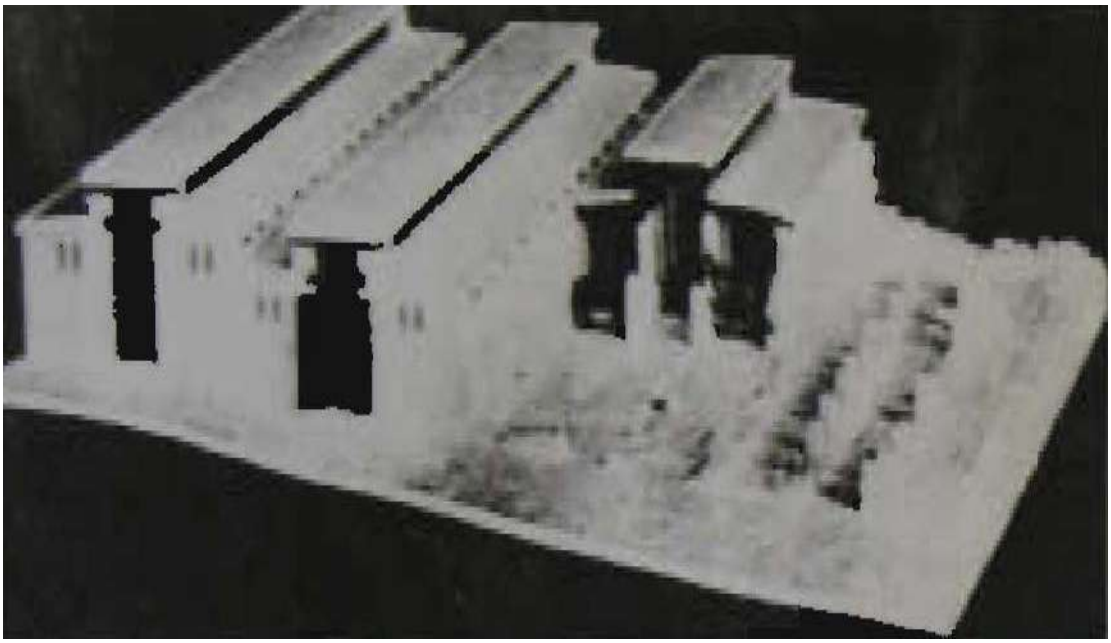

لوحة رقم (1)
اسطبل خيل النبي سليمان عليه السلام في مدينة مجدّو
(اسماعيل، 2001، صفحة 336)